محاضرة رقم (7) أنثروبولوجيا التغير الاجتماعي

مقدمة:

ان اختلاف المداخل النظرية لعلماء الاجتماع كان سببا في عدم صياغة تعريف للتغير الاجتماعي يلقى اجماعا، فضلا على ان عملية التغير الاجتماعي عملية مستمرة وشاملة فكل شيء يتغير ويتبدل ولا يبقى على حاله.

ان أول ظهور لمصطلح التغير الاجتماعي ظهر في الربع الاخير من القرن 18 في كتاب ثروة الامم لـ ***أدم سميث***، ولكن دون ان يقصد به المفهوم المتداول الان، ويرجع الفضل في انتشار هذا المصطلح للعالم الامريكي ***أوجبرن ويليام*** الذي وضع كتاب سنة 1922 يحمل عنوان التغير الاجتماعي، والذي أكد فيه ان التغير الاجتماعي عملية يمكن ان تتجه الى التقدم او التأخر، كما تشمل جوانب الحياة الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية والثقافية، وعن اهم الافتراضات التي طرحها في تفسير التغير الاجتماعي والثقافي فرض **التخلف الثقافي**، والذي يعنى به ان الانسان يتراكم لديه تراث ثقافي مادي والتغير الذي يحصل فيها يسبق التغير الذي يحدث في الثقافة اللامادية، وبالتالي فعدم مواكبة وتأقلم هذه الاخيرة مع الثقافة المادية يعني سوء التكيف وبالتالي التخلف الثقافي.

تعريف التغير الاجتماعي:

ومنذ ظهور هذا المفهوم والعلماء يسعون الى صياغة مفهوم لهذا المصطلح، غير ان اتجاهات العلماء وتباين منطلقاتهم النظرية والايديولوجية أنتجت الكثير من المفاهيم المتعددة والمتباينة حول مفهوم التغير الاجتماعي لعل أبرزها تعريف:

أ – تعريف **جيرث** الى ان التغير الاجتماعي هو التحول الذي يطرأ على الافراد، وكل ما يطرأ على النظم الاجتماعية وقواعد الضبط الاجتماعي في مدة زمنية معينة.

ب- كما يتفق جنزبرغ مع هذا الطرح: حيث ذهب الى ان التغير الاجتماعي هو كل تغير يطرأ على البناء الاجتماعي في الكل والجزء وفي شكل النظام الاجتماعي، ولذلك فالأفراد يمارسون ادوارا اجتماعية مختلفة عن تلك التي كانوا يمارسونها خلال حقبة من الزمن، ان التغير وفق هذا النحو يصيب البناء الاجتماعي، ويأخذ فقط التغيرات التي تطرأ على سلوكيات الدور الاجتماعي للأفراد، بمعنى ان التغير الاجتماعي هو كل تحول يصيب المجتمع في فترة زمنية محددة تؤثر على بنائه الطبقي أو تركيبته، وعلى نظامه الاجتماعي والمعايير السائدة في المجتمع والقيم، وعلى أنماط السلوك ونوع العلاقات السائدة.

ونشير هنا الى ان التغير قد يأخذ طابعين أحدهما مادي يستهدف تغير الجوانب المادية والتكنولوجية والاقتصادية والاخر معنوي يستهدف تغير اتجاهات الناس وقيمهم وعاداتهم وسلوكهم.

نظريات التغير الاجتماعي:

ان نظريات التغير الاجتماعي تلونت في كثير من الاحيان باتجاهات أيديولوجية حيث صنفت الى اتجاهين بارزين هما :

أ- الاتجاه الاول: وقد ذهب الى ان الافكار هي التي تحدد التغير الاجتماعي
ب- أما الاتجاه الثاني: فيرى العكس في ان الوجود الاجتماعي المادي هو الذي يحدد التغير بمعنى ان الفكر يتبع المادة.

وعليه فيمكن تصنيف نظريات التغير الى نظريات تغير خطية ونظريات تغير دائرية، كما يوجد عددا من النظريات الاخرى وبمسميات أخرى.

1/ نظريات التغير الاجتماعي الخطية:

النظريات الخطية هي تلك النظريات التي تهتم بالتحولات التقدمية المستمرة الموصلة الى هدف محدد، وخلال هذا التحول يمر المجتمع بمراحل ثابتة ومحددة، وقد اختلف العلماء في تحديد هذه المراحل فمنهم من يركز على عنصر من عناصر الحياة الاجتماعية كالتركيز على العامل الاقتصادي، وطائفة أخرى بدل التركيز على عنصر واحد تنظر إلى التطور الكلي في البناء الاجتماعي والثقافي.

وفي هذا الاطار يفسر ***أوجست كونت*** التغير الاجتماعي بأنه محصلة النمو الفكري للإنسان، اذا انتقل هذا الاخير من مرحلة الفكر اللاهوتي الى الاسلوب الميتافيزيقي الى الاسلوب الوضعي، والذي يمثله العلم الحديث.

وقد رافق هذا التقدم الفكري نمو أخلاقي وتغيرات في النظم الاجتماعية، والنقد الموجه لكونت هو عدم وجود دلائل وشواهد حيث بقيت افكاره مجرد اراء وتأملات فلسفية لا ترتقي الى مرتبة القوانين العلمية المستخلصة باستخدام مناهج صارمة.

أما ***سبنسر*** فيرى ان التغير الاجتماعي يتأثر بالعديد من العوامل ومن الصعب بيان التطور في كل مجتمع على حده، وعن أهم ملامح التغير الاجتماعي هو تزايد التباين الوظيفي في المجتمع.

وعن ***هوب هاوس*** فقد استعان في تحليله للتغير الاجتماعي بالبيانات التاريخية والانثروبولوجية بطريقة علمية دقيقة، وعموما فان مفهوم ***هوب هاوس*** للتغير الاجتماعي يتلخص في أن تطور العقل يؤدي الى تطور اجتماعي.

وبالنسبة لـ ***كارل ماركس*** فقد اعتمد في نظريته على عاملين هما: ***قوى الانتاج***، ***وعلاقات الانتاج***، ويرى ان كل مرحلة تصطبغ بنوعية قوى الانتاج السائدة في المجتمع ذلك أنها تحدد طبيعة العلاقات التي تميز الطبقة المالكة لوسائل الانتاج والطبقة الخاضعة لوسائل الانتاج، غير ان هذه الحالة لا تستمر طويلا لان وسائل الانتاج في تطور دائم وبالتالي فتطورها يؤدي الى تغيير هذه العلاقات والاطاحة بأسلوب الانتاج القديم وإقامة نظام جديد.